

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

﴿ إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴾

\* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

\* ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

\* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

﴿ أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ  
وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة  
في النار.

﴿ أما بعد:

فإن طلب الحق أحلى في النفوس الأبية من الشمس في رابعة النهار،

وقطب تدور عليه همم الأخيار، وعُباب تنصبّ منه جداول شمائل الأطهار، ومتى علت الهمة في طلب الحق، حملت على مفارقة العوائد وطلب الأوابد، فإن الحق في مثل هذه الأعصار قلما يعرفه إلا واحد، وإذا عظم المطلوب قلّ المساعد، فإن البدع قد كثرت، وكثرت الدعاة إليها، والتعويل عليها، وطالب الحق - اليوم - شبيه بطلابه في أيام الفترة، وهم سلمان الفارسي، وزيد بن عمرو بن نفيل وأصراهما، رحمهما الله تعالى، فإنهم قدوة لطالب الحق، وفيهم له أعظم أسوة، فإنهم لما حرصوا على الحق، وبذلوا الجهد في طلبه، بلغهم الله إليه، وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمّة، فكم أدرك الحق طالبه في زمن الفترة! وكم عمي عنه المطلوب له في زمن النبوة! فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك، فإن الحق ما زال مصوناً عزيزاً، نفيساً كريماً، لا يُنال مع الإضراب عن طلبه، وعدم التشوّف والتشوق إلى سببه، ولا يهجم على المبطلين المعرضين، ولا يُفاجئ أشباه الأنعام الغافلين، ولو كان كذلك ما كان على وجه الأرض مبطل ولا جاهل، ولا بطال ولا غافل»<sup>(١)</sup>.

إن الحق لا ينثني ولا ينحني، إنما يسير في طريقه قيماً لا عوج فيه، قوياً لا ضعف فيه، صريحاً لا مداورة فيه، إنه ليس ملكاً لأحد حتى يجامل فيه، إنما هو لله عز وجل، والحق قد يغزو قلوب ذوي السلطان والجاه فيصبحون له جنداً وخداماً فيفلحون، ولكنه هو لا يفلح إذا كان من جند السلطان وخدمه، فهو من أمر الله، وهو أعلى من ذوي السلطان والجاه. الحق له قوته وصدقه وثباته، والباطل له زهوقة واندحاره وجلاؤه، ومن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق. مهما بدا للباطل وللزيف صولة ودولة، فإنه ينتفخ وينتفج وينفث؛ لأنه

(١) «إشارة الحق على الخلق» للسيد مرتضى اليماني ص (٢٤) - مطبعة الآداب والمؤيد.

لا يطمئن إلى حقيقة، ومن ثم يحاول أن يموت على العين، وأن يبدو عظيمًا كبيرًا ضخماً راسخاً، ولكنه هش سريع العطب، كشعلة الهشيم ترتفع في الفضاء عالياً ثم تخبو سريعاً وتستحيل إلى رماد، بينما الجمرة الذكية تدفئ وتنفع وتبقى، وكالزبد يطفو على الماء ولكنه يذهب جفاء ولا يبقى.

\* وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ الآية [الرعد: ١٧].

إن الحق له العقبى وله البقاء.

إن كلمة الحق الطيبة كالشجرة الطيبة ثابتة سامقة مثمرة، ثابتة لا ترزعزعا الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان.

والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة قد تهيج وتعالى وتتشابك، ويُخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى، ولكنها تظل نافثة هشة، لا قرار لها ولا بقاء.

والحق الأصيل لا يموت ولا يزوي، مهما زحمة الشر والزيف وأخذ عليه الطريق، إن الخير بخير، وإن الشر بشرّ.

إن الحق نور تشرق به النفس، فترى الطريق واضحة إلى الله لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب، غبش الأوهام والخرافات، أو غبش الشهوات وضباب الأطماع، ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تختار.

والحق نور يشرق في القلب، فيشرق به الكيان البشري يرققه ويجلوه ويطلقه من إसार الأرض ومن طينها اللازب المعتم.

ولا بد للحق من أناس يصدعون به ولا يكتمون، فالساكت عنه شيطان أخرس. قال ابن القيم: «فتارك حقوق الله التي عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي؛ فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي من أكثر من ثلاثين وجهاً ذكرها شيخنا في تصانيفه، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ، وبما كان عليه أصحابه رأى أن أكثر من يُشار إليهم بالدين هم أقل الناس ديناً، والله المستعان، وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تُنتهك وحدوده تُضاع، ودينه يُترك وسنة رسول الله ﷺ يُرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين»<sup>(١)</sup>.

وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل، وجدّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. هؤلاء - مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم - قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون؛ وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل.

□ ثم قال: «ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق، والله سبحانه لا غالب له، فمن كان معه فمن الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان الله مع العبد فمن يخاف؟ وإن لم يكن معه فمن يرجو؟ وبمن يثق؟ ومن ينصره من بعده؟ فإذا قام العبد بالحق على غيره وعلى نفسه أولاً، وكان قيامه بالله ولله لم يقم له شيء، ولو كادته السموات والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتها، وجعل له فرجاً ومخرجاً، وإنما يؤتى العبد من تفريطه وتقصيره في

(١) وهل أفسد الدين إلا الملوك وأجبار سوء ورهبانها  
لقد رثع القوم في جيفة يبين لذي اللب أنتانها

هذه الأمور الثلاثة، أو في اثنين منها، أو في واحد؛ فمن كان قيامه في باطل لم يُنصر، وإن نُصر نصراً عارضاً فلا عاقبة له وهو مذموم مخذول، وإن قام في حق لكن لم يقم فيه لله وإنما قام لطلب المحمّدة والشكور والجزاء من الخلق أو التوصل إلى غرض دنيوي كان هو المقصود أولاً، والقيام في الحق وسيلة إليه، فهذا لم تُضمّن له النصرة؛ فإن الله إنما ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه وهواه<sup>(١)</sup>.

□ وفي زمننا هذا الذي غلبت فيه المنكرات و«اقشعرت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات، وقلّت الخيرات، وهزلت الوحوش، وتكدّرت الحياة من فسق الظلمة، وبكا ضوء النهار، وظلمة الليل من الأعمال الخيثة، والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون إلى ربهم من كثرة الفواحش، وغلبة المنكرات والقبايح، وهذا منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد أدلهم ظلامه»<sup>(٢)</sup>.

وإذا تُرك عوام المسلمين البسطاء لشبه الزنادقة والمجرمين والمنافقين، وإذا صادفت هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع مجالها، وكثر بها قيلها وقالها، فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دويانها.

وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمكثرين من سوادهم،

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن قيم الجوزية (٢/١٥٨ - ١٥٩).

(٢) «الفوائد» لابن القيم ص (٨٨) بتحقيق محمد عيون.

ولعموم البلية بهم، وضرر القلوب بكلامهم، هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أستارهم غاية الكشف، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم»<sup>(١)</sup>.

□ يقول الشيخ ابن باز - رحمه الله -: «أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف والدعاية المضللة فهي من أهم المهمات لحماية الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

□ ولا نجاة إلا بالمناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْمِنًا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وهنا تبدو الحاجة إلى العلم والعلماء وتربية الأمة على مواقف العلماء الربانيين الذين لا يخشون في الله لومة لائم، فخير وسيلة للتربية هي التربية بالقدوة ولن تجدها إلا ببستان السلف تجد أريجها الفواح تعبق به القلوب والأرواح.

أزاهيرهم مؤمنات العبير وأطياريهم قانتات الزجل

أو:

حدث عن القوم فالألفاظ ساجدة خلف المحاريب والأوزان تبتهل

«فهذه كانت سيرة العلماء وعاداتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين، ولكنهم اتكلموا على فضل الله أن يحرسهم،

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم ص(١١٢).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» للشيخ ابن باز (١/٣٩٢).

ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فليّنها وأزال قساوتها، وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا؛ ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا فلم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر»<sup>(١)</sup>.

□ واعلم أن من استولى عليه شهود جلال الله وعظمته وكبريائه، فغاب بذلك عن شهود هية الخلق، وخوف سطوتهم وطغيانهم، ولم يشغله الذهول بما هو مهتم به عن ملاحظة الحق ومشاهدة الإخلاص، وتحقق حسن القصد في كل حركة من حركاته مثله ينبغي أن يتصدى للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والأفلا.

\* يقول الإمام ابن النحاس الدمشقي:

«فمن أخلص لله النية أثر كلامه في القلوب القاسية فليّنها، وفي الألسن الذرية فقيدها، وفي أيدي السلطنة فعقلها.

وأما زماننا هذا فقد قيد الطمع ألسن العلماء، فسكتوا إذ لم تساعد أقوالهم أفعالهم، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم.

فإذا نظرنا إلى فساد الرعية وجدنا سببه فساد الملوك، وإذا نظرنا إلى فساد الملوك وجدنا سببه فساد العلماء، وإذا نظرنا إلى فساد العلماء وجدنا سببه ما استولى عليهم من حب المال والجاه وانتشار الصيت ونفاذ الكلمة، ومداهنة المخلوقين وفساد النيات في الأفعال والأقوال، وإذا أراد واحد منهم

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٩٢/٧).

أن ينكر على واحد من الرعية لم يستطع ذلك فكيف يستطيع الإنكار على الملوك والتعرض للمهالك ومفارقة ما استولى على قلبه من حب المال والجاه. اللهم ابتر فضايحنا وتولّ مصالحنا، وخذ بأزمة قلوبنا إليك، واستعملنا فيما يرضيك يا أرحم الراحمين»<sup>(١)</sup>.

□ قال ابن النحاس: «خرج البيهقي في الشعب بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا ينبغي لامرئٍ شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به، فإنه لن يُقدّم أجله ولم يحرمه رزقاً هو له».

قلت: وهذا الحديث فيه الحُض على الإقدام والشجاعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعلم الإنسان يقيناً أن الأمر والنهي لن يقدماً أجلاً آخره الله، ولن يمنعا رزقاً قدره الله، فلا يلتفت إلى ما يلقيه الشيطان من تخذيله، وقوله: لا تتعرض لهذا يضربوك ويقتلوك، ونحو ذلك، فإن الضر وإن قلّ، والنفع وإن جلّ مقدران، إذ لا يزيدان فتياً ولا ينقصان فقيراً»<sup>(٢)</sup>.

\* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١].

□ قال القرطبي: وهذه الآية تدل على جواز الأمر بالمعروف مع خوف القتل»<sup>(٣)</sup>.

□ وكثير من الناس غلب عليهم الجهل بوجوب الأمر بالمعروف والنهي

(١) «تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين» لابن النحاس الدمشقي ص (٦٨) - دار الكتب العلمية.

(٢) المصدر السابق ص (١٠٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (٤/٤٨).

عن المنكر، وفضله العظيم واستولى على قلوبهم الركون إلى مداينة الخلق وإيثار مودتهم وبقاء صحبتهم، وثقل كلمة الحق على ألسنتهم، وما يلقيه الشيطان في قلوبهم من الخوف والجبن وتقدير البعيد من الضرورة قريباً، واعتقاد السكوت على المنكر وجوباً، وما علموا أن التهلكة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن النجاة هي الأمر والنهي.

□ قال الغزالي: «لا خلاف أن المسلم الواحد يجوز له أن يهجم على صف الكفار يقاتل، وإن علم أنه يُقتل، وكما أنه يجوز أن يقاتل الكفار حتى يُقتل جاز ذلك أيضاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

□ وقال ابن النحاس: «يجوز للمنكر بل يُستحب أن يُعرض نفسه للضرب أو القتل إذا كان لإنكاره تأثير في رفع المنكرات، أو كسر جاه الفاسق أو فيه تقوية قلوب أهل الدين»<sup>(١)</sup>.

وقال: «سقط عنه الوجوب وبقي الاستحباب، وهي مرتبة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، ولا ينالها إلا من جاد بنفسه لله الكريم»<sup>(٢)</sup>.

□ والعلماء والريائيون - وهم ورثة الأنبياء - وأعلم الناس بالضوابط الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما أقدموا على الإنكار بقصد أن يؤثر أثراً في الدين، وأن يصدعوا بما أمروا به من الإنكار على الظالمين، فإذا لم يحصل أثر كفاهم قصدهم حجة عند الله تعالى ووقع أجرهم على من لا يُضيع أجر المحسنين.

كما أن المنغمس في الكفار لو حصل له حال انغماسه ضربة فمات قبل أن يقتل أحداً منهم أو يجرحه لم يؤخذ بتغيره بنفسه، وكان شهيداً باعتبار

(١) «تنبيه الغافلين» ص (٧٣).

(٢) المصدر السابق ص (١٠٧).

قصده وإن لم يحصل .

وزماننا هذا يصدق فيه قول حذيفة رضي الله عنه: «يأتي على الناس زمان لأن تكون فيه جيفة جمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم»؛ لأن من تصدّى في هذا الزمان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثقل على القلوب وإن كان خفيًا، وسمح في العيون وإن كان لطيفًا، ورُمي بالكذب وساءت فيه الظنون، وقُصد بالأذى، وكثر أعداؤه، وقلّ أصدقاؤه، ورُمي وألقي في مهاوي الردى، وأعملت الفكر في كيفية الخلاص منه، والراحة من مشاهدته، بل في قتله واستئصال شأفته.

□ فلا بد للأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يجعل له من الصبر حصنًا حصينًا، ومن الاحتمال خلأً أمينًا، وأن يوطن نفسه على تجمّع كتوس المرات، وتجنّب حلاوة المداينة والمداراة، وأن يمرّ نفسه على هجر الخلق في جنب الله، ويقنع في كل أحواله بنظر الله، وألا يأسف على من قلاه لذلك، ولا يحزن على من فارقه وخذله في هذه المهالك، وليقطع أطماعه من الخلق، ويثق بكفالة الحق، ويتوكّل على الله فهو حسب من توكل عليه، ويفوض إليه في جميع أحواله، فمرجع الأمور كلها إليه.

فليتك تحلو والحياة مريّة	وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ	وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودُّ فالكلُّ هينٌ	وكلُّ الذي فوق التراب ترابُ
فيا ليت شرّبي من ورائك صافيًا	وشرّبي من ماء الفرات سرابُ
متى لم يكن بيني وبينك ريبةٌ	فكلُّ نعيمٍ صدّ عنك عذابُ

□ ومواقف الربانيين تُحيي الأمم والخير متواصل ونهره ريان في هذه

● وقد قال ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدرى أوله خير أم آخره»<sup>(١)</sup>.

● وقال ﷺ: «لكل قرن من أمتي سابقون»<sup>(٢)</sup>.

□ لقد ذكرت في هذا الكتاب أي انحراف عن جادة الصراط المستقيم وطريق سلف هذه الأمة، ومن تصدى لهذا الانحراف.

□ وتجد من الذين تصدوا لنصرة الإسلام في عصرنا والرد على العلمانيين تجد لبعضهم انحرافاً عن السنة والاتباع فذكرنا انحرافهم ومن تصدى لهم وبيّن عوجهم في هذا المجال فالحق أحق أن يُقال، ووجه الله بغيتنا وقصدنا ومع هذا نقول: «ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّد قصد الباطل» ورحم الله ابن القيم إذ يقول: «والبصير الصادق يضرب مع كل قوم بسهم ويعاشر الناس على أحسن ما عندهم».

وهنا تبدو قيمة النصيحة لحث شباب هذه الأمة على العلم، فلولا حفظ الله ثم العلم لا اختلطت الأمور إذ كيف يتصدى رجل لانحراف العلمانيين والرد عليهم ثم تجد له انحرافاً عن الجادة في ميدان من ميادين الإسلام، فالأمة كلها محتاجة إلى العلم حتى يتخرج كواذر من المدافعين على الإسلام ليس في أقوالهم أو اعتقادهم أي شائبة وحتى لا نحتج إلا بمن هو خير كله.

العلم جمال لا يخفى، ونسب لا يُجفى، بعيد المرام لا يصاد بالسهام،

(١) صحيح: رواه الترمذي والطيالسي وأحمد وأبو الشيخ في الأمثال عن أنس، وابن حبان والبخاري والرامهرمزي في الأمثال عن عمار، والبزار عن عمران بن حصين، والسهمي في تاريخ جرجان عن ابن عمر والطبراني في «الكبير» عن ابن عمرو. وضعفه النووي في «فتاويه» ص (١٢٧) بحسب ما وقف عليه من طرق. ولكن الحديث قوي.

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى في «الحلية» عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٧٢).

ولا يقسم بالأزلام، ولا يُورث عن الأعمام.

بحر لا يخوصه الملاح، ولا تطيقه الألواح، ولا تهيجه الرياح، جبل لا يُتسّم إلا بخطى الفكر، وسماء لا تصعد إلا بمعراج الفهم، ونجم لا يلمس إلا بيد المجد، لا يصلح إلا للغرس، ولا يُغرس إلا في النفس ولا يُسقى إلا بالدرس.

العِلْمُ عِلْقٌ لا يُباع ممن زاد، وصيد لا يألف الأوغاد، وشيء لا يُدرك إلا بنزع الروح، وغرض لا يصاب إلا بافتراض المدر، واستناد الحجر، وردّ الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، بل وقف لهم كله عليه.

● قال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد، كفضلي على أدناكم»<sup>(١)</sup>.

والعلماء سراج للناس، ومصابيح في الدنيا والآخرة، أعلى من القمرين والنجوم، مع أنها أرفع وأنور في المشرق والمغرب؛ لأنها يحجبها الغمام، ونور العلم لا يحجبه سبع سموات، والشمس تغيب ليلاً، والقمر يخفى نهاراً، والعلم لا يغيب ليلاً ولا نهاراً بل هو هو.

والقمران يفيان والعلم لا يفنى، والقمران ينكسفان والعلم لا ينكسف، والقمران تارة يضران، وتارة ينفعان، والعلم ينفع ولا يضر بشرطه، والقمران في السماء زينة لأهل الأرض، والعلم في الأرض زينة لأهل السماء، وهما في الفوق ويضيئان ما تحت والعلم في قلب المؤمن، وهو في التحت، ويضيء ما فوقه وتحتة، وضوءهما يقع على الولي والعدو، والعلم ليس إلا للولي.

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٨٩).

وشعاع الكواكب إلى أسفل، وشعاع العلم يصعد إلى العلو.  
والكواكب تطلع من خزانة الفلك، والعلم يطلع من خزانة الملك،  
والكواكب علامة، والعلم كرامة.  
والكواكب موضع نظر المخلوقين، والعلم موضع نظر رب العالمين،  
والكواكب نفعها في الدنيا، والعلم نفعه في الدنيا والآخرة، الشمس تحرق،  
والعلم يُنجي.

وإنما كانوا كالمصاييح في الآخرة؛ لأن الناس يحتاجون إلى العلماء في  
الموقف للشفاعة، بل وبعد الدخول - دخول الجنة - فينتفع بهم فيها  
كالمصاييح؛ ولذا يُقال: إن ذات العالم تُكسى نوراً يضيء كالمصباح حقيقة،  
ألا ترى أن هذه الأمة تُدعى عُراً محجلين من آثار الوضوء، فالعالم يتميز  
على آحاد المؤمنين بأن تصير جثته كلها مضيئة، فنعمة العلم من أفخر النعم  
وأجزل القسَم ومن أوتيَه فقد أوتي خيراً كثيراً<sup>(١)</sup>.

□ ومع العلم لا بد من التجرد لله عز وجل وإخلاص النية، فعزيز  
على المرء عاطفة أن يجرح بعض مواقف لأناس يدافعون عن الإسلام، أما إذا  
كان الولاء كله والحب والبغض لله وفي الله فالأمر هين.. من وجد الله  
فماذا فقد:

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَقْتُ حَظُّهُ النَّدْمُ  
وَنَاطِرٌ فِي سِوَى مَرَاكٍ حَقٌّ لَهُ  
نَسِيتُ كُلَّ طَرِيقٍ كُنْتُ أَعْرِفُهُ  
فَسَلَّنِي كُلَّ حَالٍ كُنْتُ أَلْفُهُ  
وَمَنْ تَكُنْ هَمَّهُ تَسْمُو بِهِ الْهِمَمُ  
يَفِيضُ مَدْمَعُهُ بِالْدَّمْعِ وَهُوَ دَمٌ  
إِلَّا طَرِيقًا يُؤَدِّينِي لِبَابِكُمْ  
فِي وَصْلِهِ الْقَطْعُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

\*\*\*

(١) «فيض القدير» للمناوي (١/١٠٧).

□ ولله در القائل:

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه  
وطوبى لصب أنت ساكن سره  
وما ضرَّ صباً أن يبيت وماله  
ومن تك راض عنه في طي غيبه  
عبيدك في باب الرجا متضرع  
بعيد عن الأوطان يبكي بدلة  
تصدق على من ضاع منه زمانه  
ولم يدر حتى لاح منه مشيبه<sup>(١)</sup>

□ أخي: قد بينت في جمعي هذا أخطاء العقلايين من المدرسة العقلية الحديثة، وزيف العلمانيين وأهل الحداثة المارقين الساخرين من دين الله، وبيننا دجل المعاندين لله ورسوله.

وذكرنا من تصدى لهم ودافع عن حياض الإسلام، وحرس بستانه حتى استوى على سوقه وفاح أريجها وعبقه يملأ ساحات الدنيا.

□ ولله در من دافع عن الإسلام ولسان حاله يقول:

أنا قُربَ النجوم والجارُ فرقدُ  
موكبي العنقوان، يذكي اشتياقي  
فيه ألقى حقيقتي تتخطى  
فيه يندك السورُ تحت يميني  
ولا دجى الليل يخطفُ العزمُ مني  
ويقلبي شمسُ الحجرِ توقدُ  
لزمان فيه العملاقُ يوكدُ  
حاجزَ الوهمِ نحوَ فجرٍ تجددُ  
والأباطيلُ سحرها يتبددُ  
كيف هذا؟ ولا طريقي توصدُ

(١) «استنشاق نسيم الأئسن من نفحات رياض القدس» لابن رجب الحنبلي ص (١٣٩) - المكتب الإسلامي.

وكتمت الأنينَ والدمَّ يَشْهَدُ  
للحصى والقذى، بدربي المَخْدَدُ  
فوق أصنامٍ من دمٍ قد تجمدُ  
نعشق الموتَ والمسارَ المهْدَدُ  
هل مذاقُ النفاقِ في النفس أجودُ؟  
فلقد حررتُم فؤادي المقيدُ  
صرت أمضى من الحسام المهند

قد سلكت الأشواكَ والقلبُ راضٍ  
بل تجاوزت الصمتَ، أعلن عشقي  
ها يدي ترفع (العُقَاب) جهاراً  
هكذا تصنع العقيدة فينا  
أيها الخائفون من صدق قلبي  
أيها الخائفون شكراً جزيلاً  
صرت أقسى من الرماح العوالي

\*\*\*

اللَّهُم اجعل جمعي هذا خالصاً لوجهك الكريم، اللَّهُم واجعل  
جهادي بالحجة والبيان لأعدائك في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون  
إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللَّهُم إني أسالك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات  
والأرض يا ذا الجلال والإكرام.. اللَّهُم صل على عبدك ونيك محمد  
ﷺ.. اللَّهُم اختم لي بأفضل الشهادة في سبيلك، وورث همي فيك  
منتهى أمني.. اللَّهُم اجعلني ما أبقيتني في الدنيا شجي وقذى في أعين  
المارقين والزنادقة والمبتدعين.. اللَّهُم احفظنا بعينك التي لا تنام.

اللَّهُم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا،  
واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا  
أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

اللَّهُم وما أعطيتنا مما نحب فاجعله قوة لنا فيما تحب.

اللَّهُم وما زويت عنا مما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب، اللَّهُم أحي  
قلوبنا بحبك، واجعل سعينا كله في مرضاتك.. استرنا بالعافية واجعل تحت

الستر ما تحب .. واجعل أنفاسنا وأموالنا وحركاتنا وسكناتنا وأهلينا وقفًا على دينك وفداء له .. اللهم إني أسالك لذة العيش بعد الموت والشوق إلى لقاءك ..

وكتبه: الفقير إلى عفو ربه ورحمته

سيد العفاني